

وفي لفظ : « من أكل سبع تمرات مما بين لابتيها<sup>(١)</sup> حين يصبح ، لم يضره سم حتى يمسي<sup>(٢)</sup> » . وبعد أن يتحدث عن التمر وفائده - بحسب علمه وعلم عصره - وخصوصاً لأهل المدينة ، إذ هو قوتهم ومادتهم ، يقول :

«وهذا الحديث من الخطاب الذي أريد به الخاص ، كأهل المدينة ومن جاورهم ، ولا ريب أن للأمكنة اختصاصاً بنفع كثير من الأدوية في ذلك المكان دون غيره ، فيكون الدواء الذي قد ينبت في هذا المكان نافعاً من الداء . ولا يوجد فيه ذلك النفع إذا نبت في مكان غيره لتأثير نفس التربة أو الهواء أو هما جميعاً ، فإن للأرض خواص وطبائع يقارب اختلافها اختلاف طبائع الإنسان . وكثير من النبات يكون في بعض البلاد غذاءً مأكولاً ، وفي بعضها سماً قاتلاً ، ورب أدوية لقوم أغذية لآخرين ، وأدوية لقوم من أمراض هي أدوية لآخرين من أمراض سواها ، وأدوية لأهل بلد لا تناسب غيرهم ولا تنفعهم .

ويجوز نفع التمر المذكور في بعض السموم ، فيكون الحديث من العام المخصوص ، ويجوز نفعه - لخاصية تلك البلدة ، وتلك التربة الخاصة - من كل سم . ولكن هاهنا أمر لا بد من بيانه ، وهو أن من شرط انتفاع العليل بالدواء قبوله ، واعتقاد النفع به ، فتقبله الطبيعة ، فتستعين به على دفع العلة ، حتى إن كثيراً من المعالجات ينفع بالاعتقاد ، وحسن القبول ، وكمال التلقي . وقد شاهدت الناس من ذلك عجائب ، وهذا لأن الطبيعة يشتد قبولها له ، وتفرح النفس به ، فتتغش القوة ، ويقوى سلطان الطبيعة ، وينبعث الحار الغريزي ، فيساعد على دفع المؤذي ، وبالعكس يكون تأثير كثير من الأدوية نافعاً لتلك العلة ، فيقطع عمله سوء اعتقاد العليل فيه ، وعدم أخذ الطبيعة له بالقبول ، فلا يجدي عليها شيئاً<sup>(٣)</sup> اهـ .

وابن القيم هنا يلفت النظر إلى الجانب النفسي ، وأهميته في العلاج ، وتعجيل الشفاء ، وأثر ما يعرف الآن باسم ( الإيحاء ) وهو جانب يقره الطب الحديث بكل تأكيد .

(١) لابتيها : ما يحيط بجانبيها من الحجارة السود والبركانية ، تشبه لابة ، بزنة غابة .  
(٢) أخرجه البخاري ٩/٩٣ في الأطعمة : باب العجوة . ومسلم (٢٠٤٧) في الأشربة باب فضل تمر المدينة . وانظر : اللؤلؤ والمرجان (١٣٢٧) .  
(٣) زاد المعاد ج ٤ ، ٩٨/٤ - ١٠١ ط . الرسالة .